الفصل الثالث

الإخبار عن المغيبات

أخبر الرسول ﷺ عن كثير من المغيبات التى لم يكن لأحد علم بها، ومن ذلك:

إخباره عن الله القادر الموصوف بكل صفات الجلال والجمال هو المستحق للعبادة فى الوقت الذى كان يعبد فيه الناس آلهة ما أنزل الله بها من سلطان، فاليهود والنصارى يعبدون آلهة بشرية مجسدة توصف بما لا يليق بالله الحق. وعباد الأصنام يعبدون أحجاراً لا تضر ولا تنفع، وفى وسط هذه البيئة يخبر محمد ﷺ بحقيقة الإله الذى يستحق العبادة – فمن الذى علمه ذلك – والبيئة العربية كلها جاهلة بهذه الحقائق.

ومن ذلك أيضاً إخبار الرسول ﷺ عن كثير من الوقائع والأحداث التى حدثت فى الأزمان الغابرة، وكثير من الوقائع التى حدثت فى زمنه الحاضر مع أنه لاسبيل إلى رؤيته ومعاينته، وكذلك إخباره عن وقائع المستقبل الذى لم يحدث بعد.

وسوف نضرب نماذج لكل لون من هذه الألوان.

إخبار القرآن عن الغيب الماضى:

أخبر القرآن الكريم عن غيبيات ماضية لم يشهدها رسول الله ﷺ ولم يكن على علم بتفاصيلها، ولم يقرأ كتابا فى ذلك.

ومن هذا إخباره عن بداية نشأة الكون وما وقع فيه من أحداث منذ خلق الله السموات والأرض ومن ذلك قصة آدم وحواء، وقصة نوح وماحدث بينه وبين قومه والتى عقب عليها القرآن الكريم – لفتاً لأنظار العقلاء – بقوله: «تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا»(١).

---

(١) هود (٤٩).

وبعد أن سرد القرآن الكريم تفاصيل قصة موسى يعقب عليها بقوله: «وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين، ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر، وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم أياتنا، ولكنا كنا مرسلين، وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون»(١).

وبعد أن قص القرآن قصة مريم عقب عليها بقوله «وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم»(٢).

وبعد إخباره بما حدث بين يوسف وإخوته يقول «وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون»(٣).

ومن اللافت للنظر أن يخبر القرآن الكريم عن دقائق أخبار الأنبياء السابقين مثل إخباره عن نوح أنه لبث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، ونجد فى سفر التكوين من التوراه أنه عاش تسعمائة وخمسين سنة، ومثل إخباره عن أصحاب الكهف أنهم لبثوا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا – ونجد أنه ورد فى التوراة أن أهل الكهف لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية وهذه السنون التسع الزائة فى القرآن الكريم هى الفرق ما بين عدد السنين الشمسية والقمرية(٤).

وقبل عرض القرآن الكريم لقصة آدم يلفت أنظار الناس إلى وجه الإعجاز فى هذا الإخبار، وهو أن محمدا لم يكن له أى علم بالملأ الأعلى ولم يشاهد ماحدث بين الملائكة وبين الله وهذا ما ورد فى قول الله تعالى: «قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون، ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين»(٥).

---

(١) القصص ٤٤ – ٤٦.

(٢) آل عمران ٤٤.

(٣) سورة يوسف ١٠٢.

(٤) النبأ العظيم ص ٣٨.

(٥) سورة (ص) الآيات (٦٧ – ٧١).

وقصص الأنبياء كثير فى القرآن الكريم ووجه دلالة هذا الأمر على صدق الرسول وإعجاز القرآن، هو أن الرسول ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب الأولين ولا قصصهم ولا سيرهم، فحين يخبر بهذه القصص وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب، ولم يذهب إلى القصاص يسمع منهم، إذ لابد أن يكون مؤيداً من الله سبحانه وتعالى فهو وحده العليم بتفاصيل ودقائق هذه الأخبار ولذلك قال الله عزل وجل «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون»[١].

فمحمد لم يتعلم على يد أحد ولم يقرأ فى كتب السابقين ولو فعل ذلك لم يخف على الناس أمره[٢] إذا فما أخبر به هو من عند الله علام الغيوب الذى يملك مفاتيح الغيب «وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر»[٣].

وقد حاول بعض الملحدين تكذيب القرآن الكريم فى إخباره عن الماضى البعيد فأنكروا وجود عاد وثمود وأنكروا وجود أبرهة وقصة الفيل، كما أنكروا قصة نوح وما حدث لقومه من الطوفان، أنكروا كل هذه الحقائق تحت دعوى النقد العلمى التاريخى. ولكن تأتى أبحاث العلماء والمؤرخين والمنصفين لكى تثبت كذب هؤلاء وتعترف وتقر بصدق القرآن الكريم.

فقد أثبت العلماء أن عاداً وثمود مذكورتان فى تاريخ بطليموس وأن اسم عاد مقرون باسم (إرم) فى كتب اليونان فهم يكتبونها (ادراميت) ويؤيدون تسمية القرآن لها «بعاد إرم ذات العماد».

كذلك عثر المنقب «موزيل التشيكى» على آثار هيكل عند مدين منقوش عليه كلام بالنبطية واليونانية وفيه إشارة إلى قبائل ثمود.

---

(١) العنكبوت ٤٨.

(٢) راجع ص ٣٥ من إعجاز القرآن للباقلانى وص ٢٠٥ من كتاب التوحيد لأبى منصور الماتريدى.

(٣) الأنعام (من ٥٩).

وعثر علماء الآثار على نقوش مرسومة على خرائب سد مأرب تنبىء عن تاريخ أبرهة وتلقبه بالأمير الحبشى، كما يروى الرحالة (بروس) الذى زار بلاد الحبشة في القرن الثامن عشر أن الأحباش يذكرون فى تواريخهم أن أبرهة قصد إلى مكة ثم ارتد عنها لما أصاب جيشه المرض.

وأما طوفان نوح، فقد أثبت التنقيب الحديث صحته وحدد مكانه[١] مما يقطع ألسنة المتخرصين. فهذا الكتاب كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه؛ لأنه تنزيل من علام الغيوب.

إخباره عن غيب الحاضر:

ومن ذلك كشف القرآن الكريم لدخيلة نفوس المنافقين وما كانوا يدبرونه فى الخفاء لرسول الله، كقوله «ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد»[٢].

ومن ذلك قول القرآن الكريم عن المنافقين «لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون»[٣].

«ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولو إليه وهم يجمحون»[٤].

وغير ذلك من الآيات التى كشفت عن الغيب الحاضر الذى ماكان من الممكن أن يعلمه رسول الله بعلمه البشرى، فكلها أمور كانت تدور فى نفوس المنافقين ولم يكن يعلمها إلا علام الغيوب والذى أخبر بها نبيه ﷺ.

---

(١) سعيد حوى – الرسول صـ ٢٧٩.
(٢) البقرة (٢٠٥).
(٣) التوبة ٤٢.
(٤) التوبة ٥٧.

إخباره عن غيب المستقبل:

أخبر القرآن الكريم عن كثير من الأمور الغيبية،التى كشف التاريخ عن صدقها وتحقيقها.

ومن ذلك إخبار القرآن الكريم عن الروم بأنهم سوف ينتصرون على الفرس بعد بضع سنين يقول الله تعالى «الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم».

وتوضيح ذلك أن دولة الرومان المسيحية قد انهزمت هزيمة منكرة أمام دولة الفرس الوثنية سنة ٦١٤ فاغتم المسلمون بسبب أنها هزيمة لدولة من أهل الكتاب أمام دولة وثنية، وفرح المشركون وقالوا للمسلمين فى شماتة إن الروم أهل الكتاب قد غلبهم المجوس وسوف نغلبكم على الرغم من كتابكم. وهنا تنزل الآيات لكى تبشر المؤمنين بأن الروم سوف ينتصرون على الفرس خلال بضع سنين، أى فى مدة تتراوح بين ثلاث وتسع سنين، ولم يكن أحد يتصور تحقق مثل هذه النبوة لأن الحروب انهكت الرومان حتى غزاهم الفرس فى عقر دارهم كما يدل عليه النص القرآنى «فى أدنى الأرض» فقد احتل الفرس معظم الدولة الرومانية فى حلب ودمشق ومعظم المدن السورية الأخرى سنة ٦١١ كما سقطت القدس فى أيديهم سنة ٦١٤ وقد أحرقت القدس وحوصرت وأحرقت الكنائس ونكل الفرس بالمسيحيين هناك بل سرقوا مقدساتهم وعلى رأسها الصليب الذى يزعم النصارى أن المسيح قد صلب عليه[١].

ولأن دولة الفرس كانت قوية ومنيعة، ولذلك راهن بعض المشركين أبا بكر على تحقيق هذه النبوة[٢] ولكن الله تعالى أنجز وعده وانتصر الروم على الفرس

---

(١) التوبة ٤٢.

(٢) عن ابن عباس رضى الله عنه قال: كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، لأنهم أهل أوثان، فذكر أبو بكر ذلك للنبى ﷺفقال الرسول: أما إنهم سيظهرون فذكر أبو بكرلهم ذلك فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا =

سنة ٦٢٢ م ومما هو جدير بالذكر أن هذه الآية نفسها حملت نبؤة أخرى وهى البشارة بأن المسلمين سيفرحون بنصر عزيز فى هذا الوقت الذى ينتصر فيه الروم «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله»، ولقد صدق الله وعده ونصر المسلمين فى معركة بدر الكبرى فى نفس الظروف التى انتصر فيها الرومان على الفرس[١] كما نصر المسلمين على الروم والفرس بعد ذلك.

ومن ذلك إخبار القرآن الكريم بأنه محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» حيث كانت آيات القرآن تثبت فى ذاكرة الرسول وصحابته وقت نزوله، وتسجل فورا بأيدى أمناء الوحى الذين كتبوها على كل ما يمكن الكتابة عليه من الجلد وعظام الكتف[٢].

وكان من حفظ الله لكتابة أن وفق أصحاب رسول الله فى عهد أبى بكر الصديق إلى جمع القرآن ممن كتبوه عن رسول الله وقد بالغوا فى الاحتياط فلم يقبلوا منه شيئا مكتوبا إلا بشاهدين. إلا آيتين فى آخر سورة براءة وهما «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رء وف رحيم».

وقد وجد الصحابة هاتين الآيتين عند أبى خزيمة الأنصارى الذى جعل النبى شهادته بشهادتين حيث قبل شهادته وحده فى قضية معينة، كما وفقهم الله سبحانه فى عهد عثمان بن عفان إلى جمع المسلمين على قراءة واحدة من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن وكما حفظ الله نفس القرآن مكتوباً حفظه الله من اللحن مقروءاً فوفق المسلمين فى عهد على بن أبى طالب إلى وضع

= إن ظهر كان لك كذا وكذا، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا. فجعل بينهم أجل خمس سنين، فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر للنبى ﷺ فقال ألا جعلته دون العشرة فظهرت الروم يوم بدر وكسب أبو بكر الرهان وأمره الرسول بالتصدق به.

(١) د. محمد عبد الله دراز – النبأ العظيم صـ ٤٩ – وقارن صـ ٤٣ من الدين والدولة فى إثبات نبوة النبى محمد – تأليف على بن الطبرى وجعفر المتوكل – الرياض.

(٢) قارن صـ ١١٢ من الظاهرة القرآنية.

أساس النحو، وفى عهد عبد الملك بن مروان إلى إدخال النقط فى الكتابة ثم إلى إدخال الشكل بعد ذلك حتى لا يحدث اللحن فى كتاب الله.

وبعد ذلك سهل الله حفظ القرآن على الناس حتى صار الصبيان يحفظونه فى تجويد عن ظهر قلب ولما يبلغوا الحلم، وهذا خلافا للكتب السابقة التى لاتستطيع الجهابذة حفظ كتاب منها(١).

ويبدو إعجاز هذه الآية الكريمة من زاوية ثانية وهى: من ذا الذى يملك هذا الضمان بحفظ القرآن أبد الدهر إلا رب الدهر الذى بيده زمام الحوادث كلها، فلولا فضل الله ورحمته الموعود بهما فى هذه الآية لما استطاع القرآن أن يقاوم تلك الحروب العنيفة التى أقيمت ولا تزال تقام ضد القرآن، فلقد تعرضت بلاد الإسلام لكثير من الهزائم على يد الصليبيين والهكسوس والتتار الذين أحرقوا الكتب، وهدموا المساجد، وصنعوا ما كان يكفى القليل منه لضياع القرآن كما حدث للكتب السماوية من قبله، لولا أن يد العناية الإلهية تحرسه.

وفى العصر الحديث يحاول كل أعداء الإسلام من الصهاينة والماسون والنصارى والشيوعيين والوثنيين فى الهند وجنوب شرق آسيا - يحاول كل هؤلاء القضاء على القرآن، وينفقون القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لمحوه وتحريفه، ولم يظفروا إلا بالحسرة والهزيمة التى بشر بها القرآن بقوله: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون»(٢).

ومن ذلك إخبار القرآن بأن المعاندين له لن يستطيعوا أن يأتوا بمثله أبدا مهما حاولوا «قل لئن اجتمت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا» «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا».

فكيف يخبر محمد ﷺ بأن إنسانا كائناً من كان أو حتى جنا لن يستطيع أن يأتى بمثل القرآن لا فى الحاضر ولا فى المستقبل مع أن المستقبل غيب لايملكه

---

(١) راجع صـ ١٢٠، صـ ٧١ وما بعدها من كتاب الإسلام فى عصر العلم.

(٢) الأنفال آية ٣٦.

محمد ﷺ ولا أى مخلوق، ومع ذلك تحققت هذه النبوءة حيث انقرضت طبقة المخاطبين دون أن يعارضوا القرآن الكريم. ومضت بعدهم أجيال وأجيال إلى اليوم ولم يستطع أحد أن يأتى بمثله على الرغم من أن أعداء الإسلام كثيرون ومحاولاتهم فى القضاء عليه متعدده ومع ذلك لم يحاول واحد منهم حتى الآن أن يهاجم الإسلام من هذا الباب.

فمن كان على علم بعجز البشرية على اختلاف أجيالها عن الاتيان بمثل القرآن سوى الله سبحانه وتعالى الذى أوحى إلى محمد بما قال.

وقد أشار الإمام الرازى فى تفسيره لقوله تعالى «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا» إلى أن هذه الآية قد دلت على إعجاز القرآن من وجوه:

أحدها : أنا نعلم بالتواتر أن العرب كانوا فى غاية العداوة لرسول الله وفى غاية الحرص على إبطال أمره، فإذا انضاف إلى ذلك مثل هذا التقريع وهو قوله «ولن تفعلوا» فلو كان فى إمكانهم الإتيان بمثل سورة واحدة من القرآن لأتوا به، وبما أنهم لم يأتوا إذاً فالقرآن صادق فى إخباره ومعجز لكل بنى البشر.

وثانيهما : الثقة التى ألقى بها محمد ﷺ هذا الخبر وهو المعروف بالعقل والحكمة والنظر فى عواقب الأمور فلو لم يكن نبى الله حقا لما سمح لنفسه أن يتحداهم بهذه الصورة، بل كان يخاف من أن يتمكن أحدهم من ذلك فيقضى على دعوته فلولا معرفته اليقينية وثقته فى الله الذى أعلمه بأنهم سيعجزون عن المعارضة، لما سمح لنفسه بهذا التحدى الواضح.

وثالثها : أن هذا الخبر قد أثبتت الأيام صحته، لأن من أيامه ﷺ إلى عصرنا هذا لم يخل وقت من الأوقات ممن يعادى الإسلام، ومع هذا العداء الشديد لم يوجد من عارض القرآن الكريم[١].

ومن الغيب المستقبل أيضاً الذى كشف عنه القرآن الكريم عصمة الله لرسول الله من شر الناس «والله يعصمك من الناس»[٢].

---

(١) الرازى – مفاتيح الغيب جـ ٢ ص ١٣٢.

(٢) المائدة – ٦٧.

فقد كان الرسول يتخذ لنفسه حرسا خاصا حيث كان سعد بن مالك يتابع الرسول ويحرسه بسيفه، وما إن نزلت هذه الآية حتى نادى النبى فى حرسه ياأيها الناس انصرفوا عنى فقد عصمنى الله «ومعنى هذا أن الرسول لن يقتل بيد بشر وهذا إخبار عن غيب. إذ من الذى يستطيع أن يجزم بأن محمدا لن يقتل مع كثرة أعدائه وتوفر دواعيهم على قتله فقد أذل كرامتهم وأهانهم فى تراثهم وعقيدتهم.

ولقد حاول المشركون أن يقتلوا محمد ﷺ فى ليلة الهجرة، وحاول اليهود مرات عديدة، وغير هذه المحاولات كانت معارك الرسول ﷺ كثيرة، وكان هو هدف العدو فيها، وما حدث أبدا أن ولى الرسول ﷺ ظهره للعدو، بل كان أقرب أصحابه إلى العدو ساعة المعركة، وكانوا يلوذون به إذا حمى الوطيس، حتى أنه فى غزوة حنين انكشف المسلمون وولوا مدبرين، وإذا بالرسول يسير فى اتجاه العدو راكبا بغلته، وعمه العباس آخذ بلجامها يحاول كفها عن الاتجاه إلى الأعداء حتى أصبح الرسول بين المشركين، فلم يفر بل نزل عن بغلته كأنه يمكنهم من نفسه وراح يقول: أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب، فما نالوا منه شيئا وهم الحريصون على قتله، إن نبوءة تقول لإنسان وهو معرض كل يوم لخطر القتل لن تقتل، لا يمكن أن تكون إلا من الله الذى يعلم الغيب وبيده الموت والحياة[١].

ومن ذلك الأخبار التى بشرت بانتصار الإسلام وتمكين الله للمسلمين فى الأرض يقول الله تعالى «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»[٢].

وقد حدث ذلك حيث نشر صحابة رسول الله ﷺ شهادة التوحيد على ربوع الدنيا من المشرق إلى المغرب وقضوا على سلطان قيصر وكسرى وكان أبو بكر الصديق إذا أرسل جيوشه ذكرهم بهذه المبشرات، وكذلك كان يصنع عمر بن الخطاب[٣].

---

(١) سعيد حوى – الرسول ص ٢٨١.
(٢) التوبة ٣٣.
(٣) أبو بكر الباقلانى اعجاز القرآن ص ٤٣٨.

ومن هذا القبيل إخبار القرآن بدخول المسلمين مكة منتصرين على أعدائهم يقول الله تعالى «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون».

وقد تحقق ذلك لرسول الله ﷺ حيث دخل مكة ظافرا منتصرا(١).

ومن أعجب الدلائل على صدق أخباره المغيبة أن يتحدى القرآن الكريم أعداءه من اليهود فى شىء سهل بسيط وفى متناول أيديهم وهو تمنى الموت حين ادعوا أنهم الشعب المختار وأن الجنة وقف عليهم دون سائر البشر فتحداهم القرآن بقوله «قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين» ثم قال «ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين».

ولقد كان بمقدور اليهود أن يقولوا ولو بألسنتهم: نحن نتمنى الموت حتى يقيموا الحجة على محمد ويكذبوا أخباره ولكنهم لم يقولوا ذلك وصدقت نبوءة القرآن الكريم وثبت أنه من عند الله علام الغيوب وخبير النفوس، وعالم الطوايا والسرائر.

وآيات الإخبار عن المغيبات كثيرة وكثرتها وجه آخر من وجوه الإعجاز، لأنه مع كثرتها لم تكذب منها نبوءة واحدة بل وقعت جميعها وصدقت كما أنبأ القرآن الكريم ولو تخلفت واحدة من هذه النبوءات الكثيرة لقامت الدنيا وقعدت، ولهلل أعداء الإسلام فرحا بالعثور على سقطة لهذا الكتاب الذى تحداهم.

ويزيد فى أمر هذا الإعجاز أن المتحدث بهذه الأنباء كان أميا نشأ بين الأميين، بل إنه كان أحيانا يفعل خلاف الأولى فى المسائل التى لم ينزل فيها وحى كما حدث فى أمر الأسرى فى معركة بدر(٢).

ومعقد الطرافة بعد هذا كله أن ينطق الرسول ﷺ بهذه الحقائق المذهلة.

---

(١) راجع ص ٣٥٠ وما بعدها من كتاب «شمائل القرآن».

(٢) راجع ص ٢٧٨ جـ ٢ من مناهل العرفان.

«قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ماشاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون».

إذا فالقرآن هو من عند الله الذى يملك بيده مفاتح الغيب.

ومما ينبغى التنبيه إليه أن هذا الوجه لايستقل وحده بإثبات إعجاز القرآن جملة؛ ذلك أن القرآن معجز فى كل آية من آياته وفى كل سورة مع أن بعض السور لا تنطوى على إخبار بالمغيبات إذا فهذا الوجه يثبت إعجاز القرآن بانضمامه إلى باقى الأوجه لا منفردا بنفسه.

وهذا ما أشار إليه الخطابى فى كتابه إعجاز القرآن بقوله: «ولا يشكك فى أن هذا وما أشبهه من أخباره، نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود فى كل سورة من سور القرآن وقد جعل سبحانه فى صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها، لا يقدر أحد من الخلق أن يأتى بمثلها فقال: «فأتوا بسوره من مثله، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين» فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه»[١].

وبقيت نقطة أخيرة يجب التنبيه عليها وهى أن ما يدعيه الكهان والعرافون والمنجمون وقارئوا الكف والفنجان، لايعد إخباراً بالمغيبات، فإن كذب هؤلاء أكثر من صدقهم، إن صح تسمية ما يتفق لهم صدقا منهم[٢] ذلك أن أخبارهم كلها أخبار عامة وموهمة كما يصنع كتاب باب الحظ فى بعض الجرائد، فهى للضحك على الناس وتضييع وقتهم ليس غير.

وأما مايعرفه الفلكيون ورجال المراصد من الأحوال والظواهر الجوية مثل الخسوف والكسوف ومطالع الكواكب ومغاربها وحالة الأمطار والرياح والحرارة والبرودة فكل هذا ليس إخباراً عن الغيب، وإنما هى احتمالات قائمة على أسس علمية وحسابات رياضية يعرفها أصحاب الإختصاص، ويعرفها كل من يتعلمها، ومع ذلك فأخبارهم كلها مجرد توقعات، تصدق أحيانا وتتخلف كثيراً.

---

(١) راجع مقدمة الأستاذ السيد صقر لكتاب إعجاز القرآن.

(٢) تفسير المنار جـ ١ صـ ٢٠٥.